

الدرس السابع

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الناظم - رحمه الله تعالى - :

فَصْلٌ :

مِنَ الشِّرْكِ فِعْلٌ مَّنْ يَتَبَرَّكُ بِشَجَرٍ أَوْ حَجَرٍ أَوْ بُقْعَةٍ أَوْ قَبْرِ أَوْ نَحْوِهَا
يَتَّخِذُ ذَلِكَ الْمَكَانَ عِيداً وَبَيَانُ أَنَّ الزِّيَارَةَ تَنْقَسِمُ إِلَى : سُنِّيَّةٍ وَبِدْعِيَّةٍ وَشِرْكِيَّةٍ

هَذَا وَمِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الشِّرْكِ مِنْ غَيْرِ مَا تَرَدَّدَ أَوْ شَكَّ
مَا يَقْضِيهِ الْجُهَالُ مِنْ تَعْظِيمِ مَا لَمْ يَأْذَنْ اللَّهُ بِأَنْ يَعْظَمَ
كَمَنْ يُلْذِ بِبُقْعَةٍ أَوْ حَجَرٍ أَوْ قَبْرِ مَيِّتٍ أَوْ بِبَعْضِ الشَّجَرِ
مُتَّخِذاً لِذَلِكَ الْمَكَانِ عِيداً كَفِعْلِ عَابِدِي الْأَوْثَانِ

الشرح :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ،

أما بعد :

قال الشيخ حافظ حكمي - رحمه الله - :

« فَصْلٌ : مِنَ الشِّرْكِ فِعْلٌ مَّنْ يَتَبَرَّكُ بِشَجَرٍ أَوْ حَجَرٍ أَوْ بُقْعَةٍ أَوْ قَبْرِ أَوْ نَحْوِهَا يَتَّخِذُ ذَلِكَ الْمَكَانَ عِيداً وَبَيَانُ أَنَّ
الزِّيَارَةَ تَنْقَسِمُ إِلَى : سُنِّيَّةٍ وَبِدْعِيَّةٍ وَشِرْكِيَّةٍ »

هذا الفصل عقده رحمه الله لبيان هذا النوع من الشرك وهو التبرك بالأحجار أو القباب أو الأحجار أو الاعتبار أو غير ذلك مما يتخذه الناس مكاناً يتبركون به وهذا من الشرك بالله تبارك وتعالى لأن البركة من الله ولا تطلب إلا من الله بفعل ما شرع وأمر عباده تبارك وتعالى به أما الاعتقاد في الأحجار والقباب والأضرحة والتماس البركة من جهتها وطلب البركة من قبلها فهذا من الشرك بالله تبارك وتعالى ومن مضاهاة ومشابهة عباد الأصنام والمشركين الذين اتخذوا أشجاراً وأضرحة وغيرها يلجؤون إليها ويتبركون بها ويلتمسون منها حاجاتهم وطلباتهم فالشيخ - رحمه الله - عقد هذا الفصل لبيان ذلك والتحذير من هذا

النوع من الشرك قال: « مِنْ الشَّرِكِ فِعْلٌ مَنْ يَتَبَرَّكَ بِشَجَرٍ أَوْ حَجَرٍ أَوْ بُقْعَةٍ أَوْ قَبْرِ أَوْ نَحْوِهَا » ؛ «نَحْوِهَا» مثل المغارات والكهوف والعيون والقبور وغير ذلك مما يتبرك الضلال والجهال به ، قال : « يَتَّخِذُ ذَلِكَ الْمَكَانَ عِيداً » ؛ أي : يرتب له أوقاتاً معينة يعتاد مجيئه فيها إما كل أسبوع أو كل يوم أو كل شهر أو كل سنة ونحو ذلك (عيد) من المعادة وتكرار الزيارة في أوقات معينة وأزمنة معينة تدور بدوران السنة أو الشهر أو الأسبوع والنبى -صلى الله عليه وسلم- حذر من ذلك ودعا النبى -صلى الله عليه وسلم- قال : « لا تجعلوا قبري عيداً » نهى عن ذلك عليه الصلاة والسلام وحذر منه فاتخاذ قبر من القبور أو مكان من الأماكن عيداً تعتاد زيارته أو يتكرر مجيئه على وجه التقرب ويحدد له أوقات معينة فهذا من الشرك الذي نهى عنه النبى صلى الله عليه وسلم وحذر منه قال يتخذ ذلك المكان عيداً .

قال : « وَبَيَانُ أَنَّ الزِّيَارَةَ تَنْقَسِمُ إِلَى : سُنِّيَّةٍ وَبِدْعِيَّةٍ وَشُرْكِيَّةٍ » ؛ أي : تنقسم إلى ثلاثة أقسام : «سُنِّيَّةٍ» ؛ أي : السبيل فيها سبيل السنة وهدى النبى الكريم عليه الصلاة والسلام .

والثانية : «بِدْعِيَّةٍ» ؛ أي : النهج الذي سلك فيها نهج مبتدع .

والثالثة : «شُرْكِيَّةٍ» وهي قصد القبور لطلب الحاجات وإنزال الرغبات بها وسيأتي تفصيل هذه الأقسام الثلاثة عند الناظم رحمه الله تعالى .

قال - رحمه الله - :

هَذَا وَمِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الشَّرِكِ مِنْ غَيْرِ مَا تَرَدَّدُ أَوْ شَكُّ
مَا يَقْصُدُ الْجُهَالُ مِنْ تَعْظِيمِ مَا لَمْ يَأْذَنْ اللَّهُ بِأَنْ يَعْظَمَا
كَمَنْ يُلْذِقُ بِقَعَةٍ أَوْ حَجَرٍ أَوْ قَبْرِ مَيِّتٍ أَوْ بَعْضِ الشَّجَرِ
مُتَّخِذاً لِذَلِكَ الْمَكَانِ عِيداً كَفِعْلِ عَابِدِي الْأَوْثَانِ

فهذا من الشرك بالله تبارك وتعالى « مِنْ غَيْرِ مَا تَرَدَّدُ » ؛ لا يتردد المسلم بالقطع والجزم بأنه من الشرك بالله قصد حجر أو شجر أو أي مكان من الأماكن وتعظيم ذلك المكان قصده وتعظيمه والحال أن الله لم يأذن لعباده بذلك فيذهب إلى مكان إما قبر أو شجرة أو غير ذلك ويعظم ذلك المكان ويعكف عنده ويطلب البركة بهذا العكوف عند هذا المكان فهذا شرك بلا تردد بل يجزم به المسلم ولا يتردد والدلائل على أنه شرك كثيرة منها حديث أبي واقد الليثي الصحيح قال : « خرجنا مع رسول الله يوم حنين وكنا حدثاء عهد بجاهلية فمررنا بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط ينوطون -أي يعلقون بها أسلحتهم- يعكفون عندها

وينوطون بها أسلحتهم ، فقلنا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، قال : الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة لتتبعن سنن من كان قبلكم « ، فالشاهد أن قصد أي مكان من الأمكنة للعكوف عنده ولطلب البركة من قبله فهذا من الشرك بالله سبحانه وتعالى لأن العكوف عبادة وطلب البركة هذه أيضاً لا تطلب إلا من الله بفعل ما شرع و أمر عباده به قال :

مَا يَقْصُدُ الْجُهَالُ مِنْ تَعْظِيمِ مَا لَمْ يَأْذَنْ اللهُ بِأَنْ يَعْظَمَا

ثم ضرب أمثلة :

كَمَنْ يُلْذِبُ بَقْعَةً أَوْ حَجَرٍ أَوْ قَبْرَ مَيِّتٍ أَوْ بَعْضَ الشَّجَرِ
مُتَّخِذًا لِذَلِكَ الْمَكَانِ عِيدًا كَفَعْلِ عَابِدِي الْأَوْثَانِ

«مُتَّخِذًا لِذَلِكَ الْمَكَانِ عِيدًا» ؛ أي : يعتاد مجيئه والعكوف عنده لطلب البركة «كَفَعْلِ عَابِدِي الْأَوْثَانِ» ؛ أي : من يفعل هذا الفعل ففعله كفعل عابد الأوثان لأن عبدة الأوثان هذا هو صنيعهم يتخذون أمكنة عيداً ويطلبون البركة بالعكوف عندها وبقصدها فمن فعل مثل هذا الفعل ففعله كفعل عابد الأوثان .

قال - رحمه الله - :

ثُمَّ الزِّيَارَةُ عَلَى أَقْسَامٍ ثَلَاثَةٌ يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ
فَإِنْ نَوَى الزَّائِرُ فِيهَا أَضْمَرَهُ فِي نَفْسِهِ تَذْكَرَةً بِالْآخِرَةِ
ثُمَّ الدُّعَاءُ لَهُ وَلِلْأَمْوَاتِ بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ عَنِ الزَّلَّاتِ
وَلَمْ يَكُنْ شَدَّ الرَّحَالِ نَحْوَهَا وَلَمْ يَقُلْ هَجْرًا كَقَوْلِ السُّفَهَا
فَتِلْكَ سُنَّةٌ أَتَتْ صَرِيحُهُ فِي السُّنَنِ الْمُثَبَّتَةِ الصَّحِيحَةِ

الشرح :

ثم قال الشيخ - رحمه الله - : « ثُمَّ الزِّيَارَةُ » ؛ أي : زيارة القبور « عَلَى أَقْسَامٍ ثَلَاثَةٍ يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ » ؛ أي : انتبهوا فإن الأمر عظيم يجب على من يزور القبور أن يعرف أن زيارة القبور على أقسام ثلاثة أحدها مشروع

واثنان باطلان : أحدهما شرك والآخر بدعة ويجب على أمة الإسلام أن تعرف ذلك أن تعرف المقصد من زيارة القبور وأن تعرف الزيارة الشرعية المسنونة للقبور وأن تحذر مما سوى ذلك .

ثم بين ذلك بدأ بالزيارة المسنونة المشروعة المأذون بها في سنة النبي صلوات الله وسلامه عليه قال :

فَإِنْ نَوَى الزَّائِرُ فِيهَا أَضْمَرَهُ فِي نَفْسِهِ تَذْكَرَةً بِالْآخِرَةِ

إذا نوى الزائر للقبور « فِيهَا أَضْمَرَهُ » ؛ أي : فيما أكنه في نفسه وهذا فيه أن النية محلها القلب ولا يشرع لمن أراد أن يزور القبور أن يتلفظ بنية وإنما النية محلها القلب يذهب إلى القبر وفي قلبه و نيته أن يتذكر الآخرة ويدعو للمقبورين ولا يتلفظ بشيء من النية وهذا يبين لنا سغه بعض الجهال وغلطهم إضافة للأخطاء يقف عند باب المقبرة ويعلن النية لتلك الزيارة وفي الغالب الأعم أن النية المعلنة تتضمن باطلاً وقصداً لتلك القبور ولمقصد لا يشرع ولم يأذن الله تبارك وتعالى لعباده به فإذا نوى أولاً يذهب إلى القبور وقد أضمر أن يذهب لتذكر الآخرة عملاً بقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة » يذهب ليتذكر الآخرة عندما يمر بالقبور ويقف عندها وينظر إليها يتذكر أن من بداخل هذه القبور كانوا مثله على وجه هذه الأرض يطعمون مثله وكانوا مثله ممتعين بالصحة والعافية والأجسام الطيبة ولكن انتهت دنياهم وقبضت أرواحهم و ادرجوا بالقبور ﴿ ثم أماته فأقبره ﴾ فيتذكر أن ما صار إليه هؤلاء هو صائر إليه لا محالة وأنه سيدرج يوماً من الأيام في قبر من هذه القبور وحفرة من هذه الحفر و أذكر مما سمعته قريباً من أحد كبار السن من أهل المدينة يقول قبل سنوات دفنا رجل بعد العصر صلينا عليه العصر ودفناه في البقيع يقول وكنت مع صاحب لي ونحن نخرج من المقبرة فنظر إلى أحد القبور وإذا به القبر وسيع متسع فالتفت إلي صاحبي وقال ما شاء الله هذا القبر وسيع هنيئاً لمن سيكون في هذا القبر يقول فخرج من المقبرة ووصل إلى بيته وأحس بتعب وتوفي يقول صلينا المغرب عليه ووضعناه في نفس القبر الذي قال لي قبل قليل هذا القبر وسيع وهنيئاً لمن سيكون في هذا المكان يقول قال هذه الكلمات وما درى أنه هو الذي سيوضع فيه في الصلاة القادمة فإذا ذهب الإنسان للمقابر ونظر إلى القبور سيتذكر أنه يكون يوم من الأيام قد يكون قريب قد يكون بعد ساعات لا يغتر الإنسان بشباب ولا يغتر بصحة ، الموت إذا جاء لا يميز بين صغير وكبير بل كثيراً ما يأتي ملك الموت إلى البيت ويأخذ الصغير ويترك المسن وهذا معروف في بعض البيوت يكون في البيت رجل قارب المائة وأهل البيت كل يوم ينتظرون أنه ربما اليوم أو غداً يموت ثم يأخذ الموت أحد الصغار الذين في البيت فالموت لا يميز بين الصغير والكبير من جاءت منيته ودنا أجله قبضت روحه وفارق هذه

الحياة فيزور القبور ليتذكر قال : « ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة » ولهذا ينبغي للإنسان أن يستحضر هذا المعنى بعض الناس عندما يدخل القبور يدخل القبور ولا يزال يستصحب معه هو الدنيا يمزح ويضحك ويتندر مستصحباً معه هو الدنيا هذه العظة التي أمامه القوية لم تدخل قلبه ، بل هو الدنيا مغطٍ قلبه مع أنه في وسط الموعظة وفي وسط الذكرى العظيمة ولهذا ينبغي على الزائر أن يكون في قلبه هذا المعنى تذكر الآخرة « ألا فزوروها فإنها تذكركم بالآخرة » .

« فَإِنْ نَوَى الزَّائِرُ فِيمَا أَضْمَرَهُ فِي نَفْسِهِ تَذْكَرَةً بِالْآخِرَةِ » ؛ أي: أن يتذكر الآخرة بهذه الزيارة ، فهذا أمر شرعه النبي - صلى الله عليه وسلم وأذن به صلوات الله وسلامه عليه .

ثُمَّ الدُّعَاءُ لَهُ وَلِلْأَمْوَاتِ بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ عَنِ الزَّلَّاتِ

وهذا أخذه من جواب النبي صلى الله عليه وسلم للصحابه عندما سأله ماذا نقول عند زيارة القبور قال تقولون : « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين أنتم السابقون ونحن إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية » وهذا معنى قول الشيخ هنا :

ثُمَّ الدُّعَاءُ لَهُ وَلِلْأَمْوَاتِ بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ عَنِ الزَّلَّاتِ

فإذن تزار القبور لتذكر الآخرة وللدعاء للمقبورين وخاصة بهذه الدعوة العظيمة : العافية « نسأل الله لنا ولكم العافية » ومن أعطي العافية فقد أعطي الخير كله .

قال : « وَلَمْ يَكُنْ شَدُّ الرَّحَالِ نَحْوَهَا » ؛ أيضاً هذا شرط لا بد منه في زيارة القبور ألا يشد الرحال بمعنى لا يسافر من بلد إلى آخر من أجل زيارة قبر ولهذا قال العلماء أن من أتى إلى المدينة ينبغي أن تكون النية في زيارته المدينة زيارة المسجد مسجد النبي - عليه الصلاة والسلام - لأنه قال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى » فالزائر إذا تحرك من بلده إلى المدينة يجعل النية زيارة المسجد النبوي ثم إذا وصل المدينة وزار المسجد النبوي وصلى فيه ركعتين يشرع له أن يذهب لزيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام والقبور التي في البقيع وقبور شهداء أحد لكن لا يجوز أن يتحرك من بلده و النية التي في قلبه هي زيارة القبور إنما يتحرك من بلده لزيارة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وإذا وصل حصلت الزيارة لا مانع أن يذهب لزيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام وقبري صاحبيه وقبور أهل البقيع وقبور الشهداء هذا كله مشروع وداخل في عموم قوله : « ألا فزوروها » فهنا ينبه الشيخ أن الزيارة لا تكون بشد رحل « وَلَمْ يَكُنْ شَدُّ الرَّحَالِ نَحْوَهَا » .

« وَلَمْ يَقُلْ هَجْرًا كَقَوْلِ السُّفْهَاءِ »؛ الهُجْر هو الباطل من القول كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال : « زورا القبور ولا تقولوا هُجْرًا » وأيضاً يحتز عند زيارته للقبور من أن يقول هجراً ويدخل في الهجر الذي نهى النبي عليه الصلاة والسلام كل باطل البدع والشرك والضلال والأصوات العالية كل ذلك من الهجر الذي نهى عنه نبينا عليه الصلاة والسلام قال : « وَلَمْ يَقُلْ هَجْرًا كَقَوْلِ السُّفْهَاءِ ».

فَتِلْكَ سُنَّةٌ أَتَتْ صَرِيحَهُ فِي السُّنَنِ الْمُثَبَّتَةِ الصَّحِيحَةِ

هذه الزيارة بهذه الضوابط هذه « سُنَّةٌ » جاءت مثبتة في الأحاديث الصحيحة عن النبي -صلى الله عليه وسلم - وساق المصنف رحمه الله تعالى شيئاً منها وسبق الإشارة لشيء منها .

قال - رحمه الله - :

أَوْ قَصَدَ الدُّعَاءَ وَالتَّوَسَّلَا بِهِمْ إِلَى الرَّحْمَنِ جَلَّ وَعَلَا
فَبِدْعَةٍ مُحَدَّثَةٍ ضَلَّالَةٍ بَعِيدَةٍ عَنْ هَدْيِ ذِي الرِّسَالَةِ

الشرح :

هنا يذكر الشيخ -رحمه الله- القسم الثاني من الزيارة وهي الزيارة البدعية ، قال : « أَوْ قَصَدَ الدُّعَاءَ » ؛ أي قصد بزيارته القبور تحري الدعاء ، يقول أنا أذهب أزور القبور لأنها أمكنة مباركة وأمكنة طيبة وأتحرى الدعاء عندها لأن الدعاء مستجاب ، فهذا بدعة من البدع ومن المحدثات وهو ذريعة للشرك ، قال : « أَوْ قَصَدَ الدُّعَاءَ وَالتَّوَسَّلَا بِهِمْ » ؛ أي : التوسل إلى الله تبارك وتعالى بجاهٍ أو مكانة أو ذوات أو منزلة وفضل ونحو ذلك فهذا من البدع ، يذهب إلى القبور لتحري الدعاء أو يذهب إلى القبور للتوسل بهم أي بالمقبورين « وَالتَّوَسَّلَا بِهِمْ إِلَى الرَّحْمَنِ جَلَّ وَعَلَا ».

« فَبِدْعَةٍ مُحَدَّثَةٍ ضَلَّالَةٍ » ؛ أي : ما كان من هذا القبيل فهو « بِدْعَةٌ مُحَدَّثَةٌ ضَلَّالَةٌ بَعِيدَةٌ عَنْ هَدْيِ ذِي الرِّسَالَةِ » ؛ أي : ما كان من زيارة من هذا القبيل فمحدث ومبتدع وصاحبه لا يؤجر بل يؤزر لقوله عليه الصلاة والسلام : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » ؛ أي : مردود على صاحبه غير مقبول منه ، هذا القسم الثاني .

قال - رحمه الله - :

وَإِنْ دَعَا الْمَقْبُورُ نَفْسَهُ فَقَدْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَجَحَدَ
لَنْ يَقْبَلَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا فَيَعْفُوا عَنْهُ
إِذْ كُلُّ ذَنْبٍ مُوشِكُ الْغُفْرَانِ إِلَّا اتَّخَذَ النَّدَّ لِلرَّحْمَنِ

الشرح :

ثم ذكر هنا القسم الثالث وهو الزيارة الشريكية قال في بيانها :

وَإِنْ دَعَا الْمَقْبُورُ نَفْسَهُ فَقَدْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَجَحَدَ

هذه الزيارة الشريكية « إِنْ دَعَا الْمَقْبُورُ نَفْسَهُ » ؛ يعني إِنْ دعا الزائرُ المقبورَ نفسه لا الله ، يأتي عند القبر ويدعو « الْمَقْبُورُ نَفْسَهُ » ؛ أي : يطلب من المقبور ، يقول مخاطباً المقبور مدد و الحقني أو أعطني أو نجني من كذا ، أو اشفِ مريضِي أو نجني من ظلم أو غير ذلك ، « إِنْ دَعَا الْمَقْبُورُ نَفْسَهُ فَقَدْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ » ؛ أي : بهذا العمل قد « أَشْرَكَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ » ؛ لأنه اتخذ نداً مع الله وشريكاً مع الله فالدعاء عبادة لا يلتجأ فيها إلا إلى الله وتعالى ، قال الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءُ وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ فدعاء المقبورين وإنزال الحاجات إليهم وإنزال الطلبات والرغبات بهم شرك بالله العظيم قال : « فَقَدْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَجَحَدَ » ؛ أي : جحد هذا الحق الذي هو حق خالص لله وجحد هذا الأمر العظيم المبين غاية البيان في كتاب الله وسنة نبيه - عليه الصلاة والسلام - ، ثم بين حال ومآل من يفعل هذه الأمور ويمارسها قال :

لَنْ يَقْبَلَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا فَيَعْفُوا عَنْهُ

من كانت هذه حاله لا يقبل الله منه « صَرْفًا وَلَا عَدْلًا » ؛ قيل في معناها : لا يقبل الله منه فريضة ولا نفلاً ، وهذا فيه أن الشرك مبطل للأعمال كلها الفرائض منها والنوافل ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ .

قال : « إِذْ » ؛ وإذ هنا تعليلية « إِذْ كُلُّ ذَنْبٍ مُوشِكُ الْغُفْرَانِ » ؛ أي : قريب من الغفران « مُوشِكُ الْغُفْرَانِ » ؛ أي : قريب من الغفران يرجى لصاحبه الغفران « إِلَّا اتَّخَذَ النَّدَّ لِلرَّحْمَنِ » اتخذ الشريك مع الله هذا ذنب لا يغفر من مات ولقي الله سبحانه وتعالى به فلا مطمع له البتة في مغفرة الله لأن الله قال : ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرَ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ ؛ أي : كل ذنب دون الشرك موشك الغفران أما من مات ولقي الله

مشركاً فهذا لا مطمع له البتة في مغفرة الله سبحانه وتعالى ، وهذا فيه أن الشرك أعظم جرم وأكبر ذنب كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ .

قال - رحمه الله - :

فَصْلٌ

فِي بَيَانِ مَا وَقَعَ فِيهِ الْعَامَّةُ الْيَوْمَ مَا يَفْعَلُونَهُ عِنْدَ الْقُبُورِ
وَمَا يَرْتَكِبُونَهُ مِنَ الشَّرْكِ الصَّرِيحِ وَالْغُلُوِّ الْمَفْرِطِ فِي الْأَمْوَاتِ
وَمَنْ عَلَى الْقَبْرِ سِرَاجاً أَوْ قَدَاً أَوْ ابْتَنَى عَلَى الضَّرِيحِ مَسْجِداً
فَإِنَّهُ مُجَدِّدٌ جَهَاراً لِسُنَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى

الشرح:

ثم عقد رحمه الله تعالى هذا الفصل قال : « فَصْلٌ فِي بَيَانِ مَا وَقَعَ فِيهِ الْعَامَّةُ الْيَوْمَ مَا يَفْعَلُونَهُ عِنْدَ الْقُبُورِ وَمَا يَرْتَكِبُونَهُ مِنَ الشَّرْكِ الصَّرِيحِ وَالْغُلُوِّ الْمَفْرِطِ فِي الْأَمْوَاتِ » هذا الفصل فصل عظيم النفع عقده - رحمه الله - ليبين ممارسات تفعل عند القبور يفعلها العامة وغالب العامة يفعلونها بسبب تزيين دعاة الباطل لهم ، زينوا لهم - دعاة الباطل - هذه الأمور فأقبل عليها العامة زرافات ووحدانا والشيخ - رحمه الله - من باب النصيحة عقد هذا الفصل ليحذر من أنواع من الممارسات يفعلها العامة عند القبور منها ما هو شرك صراح بين ومنها ما هو غلو مفرط أي زائد يقول :

وَمَنْ عَلَى الْقَبْرِ سِرَاجاً أَوْ قَدَاً أَوْ ابْتَنَى عَلَى الضَّرِيحِ مَسْجِداً
فَإِنَّهُ مُجَدِّدٌ جَهَاراً لِسُنَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى

هذه من الأشياء التي تفعل « وَمَنْ عَلَى الْقَبْرِ سِرَاجاً أَوْ قَدَاً » ؛ أي : من أوقد على القبر «سراجاً» ؛ والسراج هو الشعلة التي تضيء المكان وتضفي عليه شيء من الجمال والحسن فيأتي إلى الضريح ويضع في الضريح أنوار تكسو المكان نوراً وضياء بحيث تشد الناظر وتلفت انتباهه « أَوْ ابْتَنَى عَلَى الضَّرِيحِ » ؛ أي : القبر « مَسْجِداً » « ؛ أي : بناءً ، فمن فعل ذلك فقد ضاهى النصارى لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » فإذا من بنى على القبر بناءً فإنه ضاهى اليهود والنصارى في هذا العمل واتخاذ القبر مسجداً الذي كان يفعله اليهود والنصارى يكون بأمرين :

- بالبناء أن يبني على القبر مسجداً أي يبني بناء ليكون مكان عبادة فهو بهذا الصنيع اتخذ مسجداً .

• أو وهذا النوع الثاني يقصد المكان عبادةً يقصد القبر حتى لو لم يبن مسجداً لكن يقصد القبر للعكوف عنده فهو بهذا الصنيع اتخذه مسجداً .

اتخاذ القبور مساجد يكون بأمرين ، يكون بالبناء على القبر بأن يبنى عليه مسجداً ويكون بقصد القبر للعبادة ولو لم يبن عليه مسجداً فإنه بذلك يكون اتخذه مسجداً .

« فَإِنَّهُ مُجَدِّدٌ جِهَارًا »؛ أي: قد جدد علانية « لِسُنَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى »؛ لأن هذه سنن اليهود والنبي - صلى الله عليه وسلم - قال: « لتتعبن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً ذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » واليهود والنصارى كانوا يفعلون ذلك عند القبور يتخذونها مساجد للبناء عليها ويتخذونها مساجد بقصدها للعبادة فمن فعل مثل فعلهم فهو مجدد لدين اليهود والنصارى ، ومن تلييسات أئمة الضلال ودعاة الباطل على العوام الاستدلال على هذا الصنيع الباطل بقوله تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴾ فيستدلون بهذا الأمر ويعطلون حديثاً قاله النبي - صلى الله عليه وسلم - قبل أن يموت بلحظات قال: « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » فيستدلون بهذه الآية واستدلوا بها هو استدلال بما لا دلالة فيه لأن الله سبحانه وتعالى ذكر في هذه الآية حال أهل الغلبة ولو قرأت سياق الآيات التي قبل هذه الآية لوجدت أن الحديث عن كفار ليس عن مسلمين فكيف يستدلون بصنيعهم؟!

صنيعهم هذا داخل في اللعن الذي ثبت في حديث النبي عليه الصلاة والسلام فصنيع هؤلاء الذين قالوا لتتخذن عليهم مسجداً داخل في اللعن الذي صح عن نبينا - عليه الصلاة والسلام - في قوله: « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجداً » فهذا فعل أهل الغلبة من أهل الكفر فكيف يستدل هؤلاء بهذا الاستدلال ويتركون الأمر المحكم البين الذي سمعه الصحابة - رضي الله عنهم - من النبي - صلى الله عليه وسلم - قبل وفاته بلحظات قال « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجداً » يحذر مما صنعوا .

قال - رحمه الله - :

كَمْ حَدَّرَ الْمُخْتَارُ عَنْ ذَا وَلَعَنَ فَاعِلُهُ كَمَا رَوَى أَهْلُ السُّنَنِ
بَلْ قَدْ نَهَى عَنِ ارْتِفَاعِ الْقَبْرِ وَأَنْ يُزَادَ فِيهِ فَوْقَ الشَّيْرِ
وَكُلُّ قَبْرٍ مُشْرِفٍ فَقَدْ أَمُرُ بِأَنْ يُسَوَّى هَكَذَا صَحَّ الْخَبَرُ

الشرح :

ثم قال - رحمه الله - : « كَمْ حَذَّرَ الْمُخْتَارُ عَنْ ذَا وَلَعْنُ » ؛ يعني اتخاذ القبور مساجد « كَمْ » خبرية يؤتى بها للتكثير مثل قوله : ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلِكٍ ﴾ « كَمْ حَذَّرَ الْمُخْتَارُ » ؛ أي : نبينا - عليه الصلاة والسلام - « عَنْ ذَا » ؛ أي عن هذا الصنيع « وَلَعْنُ » ؛ كما جاء في الحديث « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .

« وَلَعْنُ فَاعِلُهُ كَمَا رَوَى أَهْلُ السُّنَنِ » ؛ فهذا ثابت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في أحاديث كثيرة .

بَلْ قَدْ نَهَى عَنْ ارْتِفَاعِ الْقَبْرِ وَأَنْ يُزَادَ فِيهِ فَوْقَ الشَّيْرِ

« نَهَى عَنْ ارْتِفَاعِ الْقَبْرِ » ؛ نهى أن يرفع القبر بأن « يُزَادَ فِيهِ فَوْقَ الشَّيْرِ » والأصل في القبر هو أن تخرج التربة من الأرض ويدخل الميت ويعاد إليها تربتها فتصبح الزيادة تقريباً بقدر إنسان لأن المكان الذي أخذ منه التراب وأصبح زائداً على الحفرة التي دفن فيها الميت هو هذا قدر شبر لا يجلب تراب آخر ويرفع وإنما يعاد في القبر تربة القبر التي أخرجت منه فيكون بقدر شبر لا يرفع عن ذلك وهذا جاء في أحاديث مثل حديث أبي الهياج الأسدي قال قال لي علي بن أبي طالب : « ألا أبعثك بما بعثني به رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تدع قبراً مشرفاً إلا سويته ولا تمثالاً أو صورة إلا طمسها » فلا يجوز أن يزداد في القبر أو أن يرفع قال :

بَلْ قَدْ نَهَى عَنْ ارْتِفَاعِ الْقَبْرِ وَأَنْ يُزَادَ فِيهِ فَوْقَ الشَّيْرِ

وَكُلُّ قَبْرٍ مُشْرِفٍ فَقَدْ أَمَرَ بِأَنْ يُسَوَّى هَكَذَا صَحَّ الْخَبَرُ

« وَكُلُّ قَبْرٍ مُشْرِفٍ » ؛ أي : مرتفع « فَقَدْ أَمَرَ » ؛ أي : النبي - صلى الله عليه وسلم - « بِأَنْ يُسَوَّى » ؛ وهذا صح به الخبر في حديث علي المتقدم قال لأبي الهياج : « ألا أبعثك بما بعثني به رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تدع قبراً مشرفاً إلا سويته ولا صورة إلا طمسها » « بِأَنْ يُسَوَّى هَكَذَا صَحَّ الْخَبَرُ » .

قال - رحمه الله - :

وَحَذَّرَ الْأُمَّةَ عَنْ إِطْرَائِهِ فَغَرَّهُمْ إِبْلِيسُ بِاسْتِجْرَائِهِ

فَخَالَفُوهُ جَهْرَةً وَارْتَكَبُوا مَا قَدْ نَهَى عَنْهُ وَلَمْ يَحْتَنِبُوا

الشرح :

« وَحَذَّرَ » ؛ أي : نبينا - عليه الصلاة والسلام - « الْأُمَّةَ عَنْ إِطْرَائِهِ » وذلك في قوله - عليه الصلاة والسلام - : « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » ، ولما قال قائل

بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أنت سيدنا وابن سيدنا قال : « قولوا بقولكم أو ببعض قولكم ولا يستجربنكم الشيطان » ، وجاء عنه أنه قال - عليه الصلاة والسلام - : « ما أحب أن تنزلوني فوق منزلتي التي أنزلني الله إياها » ، فنهى - عليه الصلاة والسلام - « عَنْ إِطْرَائِهِ » ؛ الإطراء هو الزيادة في المدح والمغالة في المدح فنهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن إطرائه « فَغَرَّهُمْ إِبْلِيسُ » خدعهم وغرهم إبليس « بِاسْتِجْرَائِهِ » ؛ استدرجهم واحتال عليهم حتى أوقعهم فيما نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الأمة منه وصح عنه - عليه الصلاة والسلام - أنه قال كما في حديث أنس وحديث عبد الله بن الشخير قال : « لا يستجربنكم الشيطان » ، عندما أطروه عليه الصلاة والسلام قال : « لا يستجربنكم الشيطان » ولهذا قال الشيخ رحمه الله هنا :

وحذَرُ الأُمَّةِ عَنِ إِطْرَائِهِ فَغَرَّهُمْ إِبْلِيسُ بِاسْتِجْرَائِهِ

فإبليس تدرج بهؤلاء واحتال عليهم شيئاً فشيئاً حتى جعلهم يطرون النبي - صلى الله عليه وسلم - ويمدحونه حتى آل الأمر ببعضهم أن مدحوه بما لا يمدح به إلا الله سبحانه وتعالى وأذكر أنني مرة في إحدى الدول زرت معهداً دينياً وأهدوا لي مجلة للمعهد وأخذت أقلب صفحاتها فإذا في المجلة قصيدة عنوانها محمد صلى الله عليه وسلم مدح له ، بدأها ناظم تلك القصيدة بقوله :

هو الأول والآخر محمد هو الظاهر والباطن محمد

هذه القصيدة الأولى ، فيمدحونه عليه الصلاة والسلام بما لا يمدح به إلا الله قال الله تعالى في أوائل الحديد : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ وكان - عليه الصلاة والسلام - إذا أوى إلى فراشه قال : « اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين وأغنني من الفقر » فهؤلاء استجراهم الشيطان ومكر بهم إلى أن مدحوا النبي عليه الصلاة والسلام بما لا يمدح به إلا الله سبحانه وتعالى .

ولك أن تلاحظ ملاحظة مفيدة في حديث عبد الله بن الشخير قال : لما أتينا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا : « أنت سيدنا وابن سيدنا » قال : « إنما السيد الله » ، قالوا : أنت أفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً ، قال - عليه الصلاة والسلام - : « قولوا بقولكم أو ببعض قولكم ولا يستجربنكم الشيطان » ، نهاهم - عليه الصلاة والسلام - عن المدح والمواجهة بالمدح وقال : « لا يستجربنكم الشيطان » مع أن الكلام الذي قالوه

حق هو سيد ولد آدم - عليه الصلاة والسلام - وأفضلهم فضلاً - عليه الصلاة والسلام - ما قالوا إلا حقاً ومع ذلك نهاهم فما بالكم فيمن يمدح بالباطل ويمدحه بما لا يمدح به إلا الله سبحانه وتعالى ، قال :

فَخَالَفُوهُ جَهْرَةً وَارْتَكَبُوا مَا قَدْ نَهَى عَنْهُ وَلَمْ يَحْتَنِبُوا

« خَالَفُوهُ جَهْرَةً » ؛ أي : علانية ، « وَارْتَكَبُوا مَا قَدْ نَهَى عَنْهُ » ؛ أخذوا يظرون النبي - عليه الصلاة والسلام - ويغالون في مدحه وأصبحوا في مغالاتهم في مدحه يصفون عليه من الخصائص والصفات ما ليس إلا لله مثل قول صاحب البردة في مدحه للنبي - صلى الله عليه وسلم - :

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

وإن من جودك الدنيا وضررتها وإن من علومك علم اللوح والقلم

هذه كلها خصائص لله (ما لي من ألوذ به سواك) من الذي يلاذ به ؟ قال : (إن من علومك علم اللوح) علم اللوح والقلم خاص بمن ؟ (وإن من جودك الدنيا وضررتها) الدنيا والآخرة جود من ؟ هذه كلها خصائص الله جل و علا ، ولو كان القائل قال :

يا خالق الخلق - ينادي رب العالمين - ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

وإن من جودك الدنيا وضررتها وإن من علومك علم اللوح والقلم

لكان الكلام توحيداً خالصاً ، فإذا قال بدل ذلك : (يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك) يصبح الكلام شركاً لأنه أعطى خصائص الرب للنبي - صلى الله عليه وسلم - .

قال - رحمه الله - :

فَانْظُرْ إِلَيْهِمْ قَدْ عَلَوْا وَزَادُوا وَرَفَعُوا بِنَاءَهَا وَشَادُوا

بِالشَّيْدِ وَالْأَجْرِ وَالْأَحْبَارِ لَا سِيَّامَا فِي هَذِهِ الْأَعْصَارِ

الشرح :

يقول : « فَانْظُرْ إِلَيْهِمْ » ؛ يعني إلى هؤلاء المبطلين بتعظيم القبور وعبادة القبور انظر إلى صنيعهم عندها « قَدْ عَلَوْا » في المقبورين « وَزَادُوا » في المغالة بالخروج عن حد الشريعة وهدى النبي الكريم - عليه الصلاة والسلام - « وَرَفَعُوا بِنَاءَهَا وَشَادُوا » ، « وَرَفَعُوا بِنَاءَهَا » ؛ أي : القبور « وَشَادُوا » الأبنية العالية المرتفعة ، والقباب الضخمة المزينة المجملية المزخرفة حتى إن بعضها يوضع فيها الذهب الخالص مما يشد قلوب العوام والجهال ويأخذ قلوبهم هيبة وتعظيم لتلك القبور المزخرفة المنمقة فإذا وصلوا إليها وقد زينت وأسرجت

وجملت ونمقت وزخرفت تأخذ قلوب العوام هيبة وتعظيم فيترتب على ذلك انكسار وذل والتجاء وخضوع لهؤلاء المقبورين وهذا ما أراده الشيطان بدفعه هؤلاء لأن يزينوا القبور ويزخرفوها ويبينوا عليها الأبنية .
 قال : « وَشَادُوا بِالشَّيْدِ » ؛ « الشَّيْدِ » هو الجص ، قال : « وَالْأَجْرُ » ؛ وهو اللبن المحرق من الطين ، قال : « وَالْأَحْبَارِ » ؛ أي : المزخرفة المجملية « لَا سِيَّما » ؛ أي : خاصة « فِي هَذِهِ الْأَعْصَارِ » يعني في هذه الأزمنة المتأخرة فشت هذه الأمور وكثرت في الناس .

قال - رحمه الله - :

وَلِلْقَنَادِيلِ عَلَيْهَا أُوقِدُوا وَكَمْ لَوَاءٍ فَوْقَهَا قَدْ عَقِدُوا
 وَنَصَبُوا الْأَعْلَامَ وَالرَّايَات وَافْتَتَنُوا بِالْأَعْظَمِ الرُّفَاتِ
 بَلْ نَحَرُوا فِي سُوحِهَا النَّحَائِرِ فِعْلٌ أُولَى التَّسْيِبِ وَالْبَحَائِرِ
 وَالتَّمَسُّوا الْحَاجَاتِ مِنْ مَوْتَاهُمْ وَاتَّخَذُوا إِلَهُهُمْ هَوَاهُمْ

الشرح :

ثم قال ماضياً في بيان حال هؤلاء قال : « وَلِلْقَنَادِيلِ عَلَيْهَا أُوقِدُوا » القناديل أي التي يضئ فيها المكان سواء كانت بالسرج أو الشموع أو نحو ذلك ، « وَكَمْ لَوَاءٍ فَوْقَهَا قَدْ عَقِدُوا » ؛ أي : الألوية التي يعقدونها على القبور من الأعلام ونحوها وأيضاً الحبال والخيوط التي تعقد على القبور « وَنَصَبُوا الْأَعْلَامَ وَالرَّايَات » ؛ أي : على القبور وكثيراً ما يفعلون ذلك في مواسم أعيادهم الباطلة يتبارون في وضع الأعلام حتى يزيد توافد الجهال وتقاطرهم على تلك الأمكنة « وَنَصَبُوا الْأَعْلَامَ وَالرَّايَات وَافْتَتَنُوا بِالْأَعْظَمِ الرُّفَاتِ » ؛ افتتن هؤلاء « بِالْأَعْظَمِ الرُّفَاتِ » ؛ أي : بأعظم الموتى ، افتتنوا بعظام الموتى ، لأن القبر ماذا فيه ؟ هذا الذي يعظمونه ماذا فيه ؟ فيه عظام ورفات ، عظام الميت ورفاته إن بقيت العظام فيعظمون هذا المقبور ويزينون المكان ويبينون عليه هذه الأبنية مما لم يأذن الله تبارك وتعالى لعباده به فكان ذلك وسيلة إلى الشرك وذريعة له ولهذا قال : « بَلْ نَحَرُوا فِي سُوحِهَا النَّحَائِرِ » ؛ أي : ذبحوا الذبائح في سوح المقابر تقرباً لها « فِعْلٌ أُولَى التَّسْيِبِ وَالْبَحَائِرِ » ؛ « فِعْلٌ أُولَى التَّسْيِبِ » ؛ أي : المشركين الذين يسيبون السوائب ويخصونها للأصنام ويتقربون للأصنام بها ففعل هؤلاء مثل فعل أولئك المشركين .

«وَالْتَمَسُوا الْحَاجَاتِ مِنْ مَوْتَاهُمْ» ؛ يعني التمسوا حاجاتهم من شفاء أو صحة أو غنى أو عافية أو غير ذلك من موتاهم الذين لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ولا حياة ولا موتا ولا نشورا .

«وَاتَّخَذُوا إِلَهُهُمْ هَوَاهُمْ» ؛ أي جعلوا الحاكم في هذه الأمور والمتبع في هذه الأمور الهوى ﴿أَفَرَأَيْتَ مِنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾ .

قال - رحمه الله - :

قَدْ صَادَهُمْ إِبْلِيسُ فِي فِخَاخِهِ بَلْ بَعْضُهُمْ قَدْ صَارَ مِنْ أَفْرَاخِهِ
يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ وَبِاللِّسَانِ

الشرح :

ثم قال - لما بين حال هؤلاء البئسة - قال : « قَدْ صَادَهُمْ إِبْلِيسُ فِي فِخَاخِهِ » ؛ يعني هؤلاء وقعوا في مصائد إبليس ، وإبليس له مصائد يصطاد بها الناس ليصرفهم عن دين الله تبارك وتعالى وهذا شرع لنا أن نقول في الدعاء في الصباح والمساء وعند النوم « اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه » وفي رواية : « وَشَرِّكَهِ » والشَّرْكُ هو المصيدة ، والشيطان له مصايد ، وقرأ في ذلك واستفد كتاب « إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان » لابن القيم وقرأ بخاصة كلامه عن هذا الموضوع كيف اصطاد الشيطان هؤلاء الذين تعلقوا بالقبور بمثل هذه الأشياء وأطال - رحمه الله - إطالة نافعة ومفيدة جداً في كتابه : « إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان » .

قال : « قَدْ صَادَهُمْ إِبْلِيسُ فِي فِخَاخِهِ » ؛ الفخ هو المصيدة ، ويقال لها أيضاً : الحباله ، « بَلْ بَعْضُهُمْ قَدْ صَارَ مِنْ أَفْرَاخِهِ » ؛ بعض هؤلاء « صَارَ مِنْ أَفْرَاخِهِ » ؛ أي : من أفراخ الشيطان معيناً للشيطان في بث هذه الأفكار ولذلك بين في البيت الأخير بقوله : « يَدْعُو » ؛ يعني هذا الفرخ من أفراخ الشيطان « يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ وَبِاللِّسَانِ » ؛ أصبح بعض هؤلاء من الدعاة لهذا الباطل بهاله ونفسه ولسانه ، فأصبح من أفراخ الشيطان يصنع صنيعة باصطياد العوام والجهال وإيقاعهم في الشرك المبين والكفر الصراح .

قال - رحمه الله - :

فَلَيْتَ شِعْرِي مَنْ أَبَاحَ ذَلِكَ وَأَوْرَطَ الْأُمَّةَ فِي الْمَهَالِكِ
فَيَا شَدِيدَ الطَّوْلِ وَالْإِنْعَامِ إِلَيْكَ نَشْكُو مُحِنَّةَ الْإِسْلَامِ

الشرح :

ثم ختم - رحمه الله - هذا الفصل بهذين البيتين ، قال :

فَلَيْتَ شِعْرِي مَنْ أَبَاحَ ذَلِكَ وَأَوْرَطَ الْأُمَّةَ فِي الْمَهَالِكِ

« لَيْتَ شِعْرِي » ؛ في حال هؤلاء ومآل هؤلاء وما يصير إليه هؤلاء عندما يلقون الله - سبحانه وتعالى - وقد ورطوا الأمة بالمهالك ، كيف ستكون المصيبة على هؤلاء الذين صرفوا الناس عن الفطرة وعن الدين القويم إلى التعلق بغير الله - سبحانه وتعالى - وعبادة غير الله - جل وعلا - ؟!

« فَيَا شَدِيدَ الطَّوْلِ » ؛ يناجي الله وينادي رب العالمين - سبحانه وتعالى - « فَيَا شَدِيدَ الطَّوْلِ وَالْإِنْعَامِ » ؛ « الطَّوْلُ » هو الفضل والعطاء والله سبحانه وتعالى ذو الطول كما في أوائل سورة غافر ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ﴾ فذو الطول ؛ ذي المن والعطاء والفضل فيناجي الله قال : « فَيَا شَدِيدَ الطَّوْلِ وَالْإِنْعَامِ إِلَيْكَ نَشْكُو مُحَنَّةَ الْإِسْلَامِ » ؛ هذه محنة عظيمة وبليّة عظيمة أصيب بها هؤلاء فالشيخ - رحمه الله - استحضر الحال المزرية والواقع الأسيف فلجأ إلى الله - سبحانه وتعالى - يشكو إليه من هذه الحال ويطلب منه - سبحانه وتعالى - أن يغيث هؤلاء بالهداية والصلاح وأن ينجيهم من هذا الباطل والضلال ، وهذا يدل على شدة تألم الشيخ - رحمه الله - وعظم غيـرته ونصحه للناس في هذا الباب العظيم ؛ باب التوحيد والتحذير من الشرك بالله عز وجل .

والله أعلم

وصلّى الله وسلّم على عبد الله ورسوله نبينا محمد